الجباية والمجتمع في تاريخ المغرب

(جوانب من تاريخ جباية المدارس والزوايا بسوس أواخر القرن التاسع عشر)

السعيد بوسكة[1]

طالب باحث، كلية الآداب والعلوم الإنسانية

جامعة ابن زهر، أگادير

منذ دخول الإسلام إلى المغرب، كان سوس من أكثر مناطق البلاد انتشارا للمساجد والرباطات ومدارس علمية وزوايا اشتهرت بأدوار تعليمة وتربوية، كما اضطلعت بوظائف أخرى اجتماعية واقتصادية، بل وسياسية حين أسهمت في إنجاح مشاريع حكم تعاقبت على البلاد. كل هذه المؤسسات ما كانت لتظهر وتستمر في أداء أدوارها المختلفة من دون شرط مادي قوامه جباية القبائل، حيث شكلت الأعشار والزكوات خاصة، ومعها الخدمات المقدمة للزاوية أو المدرسة من لدن كوانين القرى والمداشر الركن المادي الذي رافق تطور حركة التعليم في المغرب بنمطيه: شعبي مرتكز على الوعظ والإرشاد وتلقين عامة الناس مبادئ الدين الإسلامي، وآخر منظم اهتم بتكوين الطلبة في اللغة العربية وجملة من العلوم الدينية، خاصة القرآن والفقه والفرائض.

وقد كان للكتابات الاستعمارية قدم السبق في تناول موضوع المدارس والزوايا بمقاربة مادية، وارتبطت مقاصدها في ذلك بسياق ظرفية تزايد فيها الضغط والتدخل الأجنبيين بالمغرب، فتميزت كتاباتهم حول الزوايا بميزتين: أولهما قراءة تاريخ الزاوية انطلاقا من التاريخ الديني لأوربا، خاصة من خلال ثنائية الكنيسة والمجتمع في العصور الوسطى، وثانيهما الاهتمام بالزاوية ليس مؤسسة دينية وحسب، بل وقوة اجتماعية مرتبطة بمختلف بنيات المجتمع، وبالتالي ضرورة فهم أهميتها، ووظائفها، ومنها الاقتصادية. والهدف من هذا الإسقاط فرض نموذج ثقافي وتاريخي يبرر الغزو الاستعماري(1)، وتسهيل مشاريع السيطرة والتهدئة(2).

---

[1] تحت إشراف الأستاذ شفيق أرفاك

(1) يقدم لازارف بيبلوغرافية بأسماء باحثين استعماريين اهتموا بالجانب الاقتصادي في تاريخ الزوايا، وحاولوا تكريس اسقاط التاريخ الأوربي على المغربي: كريكوري لازارفـه *الإقطاعيات العقارية في المغرب: مساهمة في دراسة تكوين الممتلكات العقارية بالبوادي المغربية*، ترجمة البزاز محمد الأمين وعبد الله التمسماني خلوق، مجلة دار النيابة، العدد 8، 1985، ص.48.

(2) أعلن ميشو بلير هذه الغاية الاستعمارية في مستهل واحدة من مقالاته التي دعى فيها إلى عمل جماعي دقيق طويل الأمد حول تاريخ التصوف والزوايا مفيد لسياسة فرنسا بالمغرب.

Michaux Billaire (E) : *Conférences Faites Au cours préparatoire du service des Affaires Indigenes*, in Archives Marocaines, XXVI, 1927, p1.

عن: الراجي خديجة، مساهمة في تاريخ الزاوية السملالية في مرحلة التأسيس (1460-1564)، رسالة دبلوم الدراسات العليا، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس، الرباط 1993، ص11.

إن تناول موضوع الجباية في الزاوية والمدرسة يستوجب عدم الإغراق في التحليل المادي من دون استيعاب مستوى آخر رمزي. فحينما ندرس الشأن الاقتصادي، يحضر في العادة قاموس خاص تميزه لغة الأرقام والحساب، ومفردات من قبيل الربح والخسارة، والمداخيل والمصاريف، وسائل الإنتاج...، لكن في الزوايا والمدارس يختلط هذا القاموس المادي مع آخر رمزي، فهنا تتدخل الكرامة والرؤيا والبركة والولي، وهي مستمدة من قاموس ديني صوفي، لكن مكاسبه المادية كانت حاضرة، بل ومحورية في جباية هذه المؤسسات، لذلك يجد الباحث نفسه في هذا الموضوع أمام ثنائية (مادي/ رمزي)، مما يفرض توظيفا لا يصل بها إلى الافتراض والتخيل، أو على العكس، حد التهجين من قيمتها إلى درجة إقصاء دورها في البحث التاريخي.

1- جباية المدارس والزوايا بسوس بين مساهمة القبائل ودور الشيوخ:

1-1 - المدرسة العلمية مؤسسة قبلية:

لم تخل قبيلة بسوس من مساجد ومدرسة علمية أو أكثر[3]، حيث تنافست القبائل في إحداثها والحرص على استمرار وظائفها، فكانت مؤشرا على مكانة القبيلة وسمعتها، بل صارت معيارا للحظوة والاحترام بينها، أو سُبّةً واستهزاءً من بعضها[4]. لذلك اعتبر تمويل ورعاية هذا المرفق بأنواع كثيرة من الجبايات دائمة منتظمة أو استثنائية، مسؤولية الجماعة، وقد شكلت الأعشار والزكوات عادة سنوية وأبلغ تعبير عن هذا الاهتمام .

كانت القبائل بسوس تقدم لمدارسها نصيبا من الأعشار حين الحصاد، والشائع اقتطاع ثلثها كل سنة إلى المدرسة لتموين إطعام الطلبة ومشارطة الفقيه، لكن الثلث ليس عادة كل القبائل، فالنسبة قد تنخفض حتى السدس أو الثمن، والسبب أن الموضع الواحد قد يضم كثيرا من المشاهد والرباطات والزوايا و أضرحة الأجداد، بل حتى مدارس أخرى منافسة تتقاسم معها أعشار القبيلة[5]. والواجب أيضا قابل للزيادة حتى النصف استثناءً في بعض القبائل[6]. وقد قدم محمد بن أحمد المانوزي، أحد الفقهاء الذين شارطوا في كثير من مدارس سوس[7] وصفا مفصلا لطريقة جمع الأعشار في المدارس: "***وكيفية القيام بها أن يلتزموا على أنفسهم لكل كانون ثلث***

---

(3) حول أهم المدارس العلمية بسوس راجع: السوسي محمد المختار، سوس العالمة، مطبعة فضالة، المحمدية، 1960.

(4) مثلا سخرية الإيلانيين من التميليين :السوسي محمد المختار، المعسول، ج17، ص26.

(5) هذا حال المدرسة الإلغية التي أسسها محمد بن عبد الله الإلغي سنة 1297/ 1879 في بداية عهدها: السوسي محمد المختار، المعسول، مطبعة فضالة، المحمدية، 1960 ج1، ص169.

(6) السوسي محمد المختار، المعسول، م س، ج3، صص240-421.

(7) كتب هذا الفقيه سيرته الذاتية، وأوردها المختار السوسي كاملة في المعسول: ج3، صص240-421.

زكواتهم وأعشارهم أو ربعها أو أقل أو أكثر، بحسب قلة القبيلة أو كثرتها، وقلة طلبتها أو كثرتهم، فيكتبون ذلك كله مع ضوابط المدرسة والأسواق والحصون في سجل خاص، يسمونه سجل الأعراف لجمعه ضوابط وقوانين صارمة، لا يتسامح فيها عند حدوثها في الثلاثة المتقدمة، فإذا فرغ الناس من جمع اندارهم ويبادرهم آخر دراسهم لحبوبهم، اجتمع أشياخ القبيلة مثلا المسمون عندهم بالنفاليس [...] عند رئيس المدرسة وفقيهها الذي هو رئيس تلك الجمعية، فيحسبون كوانين القبيلة حتى يعرفوا مازاد منها وما نقص، ويحاسبوا الجميع على مقدار ما عندهم من أرادب القمح والشعير من الأعشار، فيعينون يوما معلوما للإتيان بها إلى المدرسة [...]فمن لم يأت بها إلى غروب شمس ذلك اليوم أو إلى اجل معلوم عندهم، فانه يعاقب بمقدار المال المكتوب في سجل القوانين المذكور. ويأتون معها بما يلتزمونه للفقيه . مما يسمونه شرطا من زرع وإدام ودراهم وصوف وغنم وغير ذلك مما رسم في السجل، فإذا فرغوا من ذلك بعد يومين أو ثلاث مثلا، تفقدوا طلبة المدرسة، فمن كان غريبا عرفوه، ومن كان أهليا عرفوه"[8] .

تبرز هذه الشهادة أن الأعشار والزكوات المقدمة للمدارس العلمية لم تكن مجرد مساهمات خيرية مرتبطة بالأمزجة والرغبة الشخصية. بل شكلت جزءً من النظام العام للقبيلة الذي تخضع له جميع الكوانين سنويا: في عمليات إحصاء الإنتاج، ثم حين جبي المحاصيل، والذي يباشر الملزمون أنفسهم بنقله إلى مخازن المدارس، وفوق الجميع قوانين عرفية محورها فرض الالتزام واحترام الواجب عن طريق الردع بالعقوبة المالية[9]، ولا يوقف هذا الإرتباط بين المدرسة والقبيلة إلا مستجد فوق قدرة الجميع، ويوافق عادة زمن الكوارث الطبيعية. وكانت قبائل سوس تعتمد إحدى طرق ثلاث في خرص المحاصيل لتحديد الواجب على كل كانون[10]:

(8) السوسي محمد المختار، المعسول، م س، ج3، ص267.
(9) دار نقاش فقهي حول العقوبة بالمال يؤكد أهمية هذه الآلية للفقهاء والمرابطين، ليس في المال الذي يجبى في حالات نادرة، وإنما دورها في استمرار عوائد القبائل المادية والخدماتية اتجاه مدارسهم وزواياهم. راجع: عبد الرحمن، الفوائد الجمة في إسناد علوم الأمة، تحقيق اليزيد الراضي، مطبوعات السنتيسي، 1999. العبادي الحسن، فقه النوازل في سوس، قضايا وأعلام، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1999. العثماني امحمد، ألواح جزولة والتشريع الإسلامي،منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، طبعة 2004، ص82 وما بعدها.
(10) ذكر الفقيه عبد العزيز الأدوزي في مخطوط له لم يحقق بعد أنواع الخرص الثلاث في فتوى حول أجرة المعلم المنتصب للإمامة.

طرق خرص الواجب إلى المدارس العلمية بسوس

طرق الخرص والجبي	مضمونها
ماء السقي	- كان يحدد الواجب على كل ملزم بحسب توزيع أنصبة ماء السقي داخل القبيلة. - تأخذ هذه الطريقة بعين الاعتبار الفروق في الممتلكات بين الكوانين، وعلى أساسها توزع حصص المساهمة في مال المشارطة والإطعام.
الكانون	- يحدد الواجب السنوي للمدرسة، فيوزع على عدد الكوانين في القبيلة أو البلدة أو المدشر. - تجعل هذه الطريقة مستفاد المدرسة من الجهة المانحة ثابتا معلوما لا يتغير إلا بأزمة في الإنتاج. - لم يراع هذا التوزيع الفروق في وسائل الإنتاج والثروة بين الكوانين، لكن تأثير هذا الإشكال حجبته قيمة المساهمة أو حجمها المتواضع.
الإنتاج	- يحدد الواجب على أساس الإنتاج في كل كانون، وكانت العادة في معظم مدارس سوس الأقصى صاعا من كل غرارة "شواري". - جعلت هذه الطريقة مدخول المدرسة معرضا للانخفاض زمن أي كارثة طبيعية.

وإذا كانت بعض القبائل تمنح للفقهاء سلطة مطلقة في أعشارها . حيث نقلت إليهم كل مسؤوليات ادخار الواجب ومباشرة مهام إيواء وإطعام الطلبة حولا كاملا . فقد اعتادت أخرى على نقل هذه المهام كلها لكوانين القبيلة، وهذا ما عرف باسم الرتيبة، حيث تتكلف كل أسرة في القبيلة بطالب علم، فتزوده يوميا بما يلزم من طعام، على الأقل وجبتين في اليوم. وقد انتشرت هذه الخدمة التعليمية في القبائل الميسورة بسهل سوس، ففي رأس الواد، على سبيل المثال، شكلت هذه العادة السبب الأساس الذي به عمرت المدارس والمساجد بالطلبة الغرباء من الأطلس الصغير الغربي وأيت باعمران[11]. وغالبا ما تتحول الرتيبة من واجب جماعي اتجاه الطلبة يزاوج بين الإطعام وخدماته إلى علاقات بين الطالب والكفيل قد تصل إلى المصاهرة والتمليك في

(11) عن سيرة المانوزي: السوسي محمد المختار، المعسول، م س، ج3، ص280.

حالات المحتضن غير المعقب.[12].

وفضلا عن الجباية العينية عادة والمالية نادرًا، كانت القبائل بسوس تقدم للمدرسة وظيفة جبائية أخرى متمثلة في الخدمات الجماعية القائمة على مجهود عضلي تقوم به كوانين القبيلة عنذ الحرث والري والحصاد في الأملاك المحبسة على المدرسة/الزاوية، أو الأملاك الخاصة بالفقيه إذا كان ذلك من شروط المشارطة بينهما[13]، إلى جانب جلب الحطب أو الماء أو نقل الأعشار من قبائل أخرى، زد على ذلك أعمال الصيانة وإضافة مرافق أخرى إذا توسعت المدرسة. وغالبا ما تمتد الكلفة أيضا إلى الطلبة.

وكانت بعض القبائل توجه ثلث الأعشار لإطعام الطلبة، أما مال المشارطة مع الفقيه فيوكل إلى مستفاد ما يجبى من الباعة والمشتريين بالأسواق: ففي هشتوكة وبمدرسة إدا محمد مثلا، تؤخذ مشارطة الفقيه من الكيالين في الأسواق، بجمع ما تناثر من المكاييل عند الوزن، واعتباره أجرة الفقيه، وفي نظرهم ذلك يضمن سلامة البائع والمشتري من كل غبن أو نزاع. أما قيمة المشارطة فمهمة بأهمية الموضع السهلي الغني حيث هذه القبيلة[14].

وفي المواضع الجبلية المقلالة، كانت المدارس تعتمد في مداخيلها، فضلا عن الأعشار المتواضعة، على واجب أسبوعي أو موسمي منتظم: فالمدرسة الإلغية فرضت على طلبتها ضريبتي الأربعاء والعواشر، كل بما تيسر، وقد كان الشائع بيضة في الأربعاء، وقرشا في العواشر، ثم الدراهم بعد ذلك. وقبل يوم عاشوراء، ومتى أعلن الفقيه أيام المناسبة، يجهز الطلبة لوحة مكتوب عليها آيات قرآنية، ويغلفونها بزيف أحمر أو أرقط، فيجعلونها فوق قصبة، فيحملها أحدهم فيدورون بها أمام الديار بقفة كبيرة يجمعون فيها الزرع الذي يعطى لهم مقابل التبرك باللوحة[15]. فهذه الأشكال الجبائية البسيطة كانت تعبر عن موضع ضعيف الموارد، وعن وسائل المدارس للبقاء في وسط مقلال.

---

(12) ويذكر المختار السوسي أن هذه الظاهرة كانت أيضا في هشتوكة وقبائل أخرى حول تارودانت: خلال جزولة، م س، ج3، ص172.

(13) السعيدي المهدي، م س، صص181-194.

(14) السوسي محمد المختار، المعسول، م س، ج13، ص189.

(15) نفسه، ج1، ص57.

اتخذ هذا العمل البسيط شكلا أكثر تطورا حينما كان الشيوخ أنفسهم يخرجون في جولات بمبادرة منهم أو بطلب من قبائل الرحل خصوصا، وحتى مناطق أبعد مثل درعة وتافيلالت لعرض خدمتهم المتمثلة في الدعاء الصالح. ويسمي دوفوكو هذه الجولات "**الذهاب لأجل التبريك**"، وما يتحصل عليه هؤلاء بالإتاوات: شارل دوفوكو، التعرف على المغرب 1883-1884، ترجمة المختار بالعربي، دار الثقافة، الدار البيضاء، ج1، ص220.

1-2 – جباية المدارس العلمية في سوس بين السهل والجبل:

كان الوضع المادي للمدارس العلمية بسهل سوس أفضل من مثيلاتها بالمناطق الجبلية، فمدرسة إدا محمد بهشتوكة كانت تحت إشراف قبيلة كبيرة نيف عدد كوانينها على الإثنتى عشرة مائة كانون في منطقة سهلية توفرت خيراتها، وكثرت أعشارها، حتى إن عدد مطامير المدرسة وصلت إلى ثمانين مطمورة، الواحدة منها كانت كافية لقوت الفقيه والطلبة حولا كاملا[16]. ولم تكن هذه المدرسة استثناء، فمعظم مدارس الفحص كانت لها مداخيل كبيرة إلا إذا استجد ظرف طبيعي بجفاف أو زحف جراد... ومن مؤشرات الثراء مجاورة كثير من المدارس الكبرى لأسواق هامة في تجارة سوس وخارجه، كما أن الطلبة قد يحظون، إلى جانب الإطعام، بنصيب من بعض المزروعات والمغارس، ففي رأس الواد لم تكتف القبائل باحتضان الطلبة الأجانب طيلة سنوات تعلمهم بالمدرسة، بل كان لهؤلاء نصيب معلوم من كل زيت يعصر بالقبيلة[17]. وفي المواضع الجبلية، تعدد أنواع الجباية لا يعبر عن ثراء بقدر ما يؤشر على الاقتصاد المقلال وحالة العوز التي تدفع المدرسة للبحث عن كل منفذ يوسع أرزاقها لتفي بحاجة طلبتها عاما كاملا، فمع الأعشار الهزيلة التي تتقاسمها المدرسة مع كثير من المشاهد والأضرحة والزوايا المجاورة، يستعين الفقيه بواجب الأربعاء وطقوس عاشوراء، بل يخرج الطلبة سنويا في جولات لجمع المعونات من مواضع بعيدة زرعا أو زيتا[18]. مما يدل عن عجز القبيلة وحدها على الإيفاء بحاجيات المدرسة: فحين أسس محمد بن عبد الله الالغي مدرسة إلغ منتصف عام 1297، كادت أن تغلق أبوابها من العام الأول، غير أن نجاح الشيخ في توسيع منافذ العطاء أسهم في استمرار وإشعاع واحدة من أهم مدارس سوس أواخر القرن 19 وبداية 20، ومن القبائل التي كانت توجه إليها نصيبا من الأعشار والخدمات في السنوات الأولى من تأسيسها أواخر القرن التاسع عشر[19]:

(16) السوسي محمد المختار، خلال جزولة، م س، ج4، صص20-21.
(17) السوسي محمد المختار، خلال جزولة، م س، ج4، صص20-21.
(18) ميز المانوزي بين الكتاب والمدرسة، المكاتب قد تقوم بتدريس كل ما يأخذه الطلبة في المدارس، لكن الفرق بينهما أن الكتاب ليس له موارد من زكوات وأعشار. راجع رواية محمد بن أحمد المانوزي في المعسول، ج3، ص276.
(19) السعيدي المهدي، م س، ص125.
مصدر معلوماته رواية شفوية عن محمد بن الحسين بن علي الإلغي، والمعسول في الصفحتين 125 و169 من الجزء الأول.

القبيلة	مساهمتها في المدرسة
آل تاكنزا	ثلث الأعشار
آل تاجرمونت	ثمن الأعشار
آل اغوديد وأسيف مقورن	الحطب للزاوية

هذه أبرز أنواع الجبايات التي أسهمت في ظهور المدارس واستمرار إشعاعها العلمي والصوفي، وفي أدوارها الأخرى قرونا طويلة، غير أن كل المدارس لم تكن تحظى بجمع كل هذه الأصناف من القبيلة المحتضنة أو الأخرى الداعمة. والملاحظ أن مدارس المناطق الجبلية كانت أكثر سعيا في تنويع مداخيلها، وتوسيع قاعدة مموليها، عكس المناطق السهلية حيث أعشار قبيلة واحدة كافية لتغطية حاجيات مدرسة أو أكثر. لكن تحول الزاوية والمدرسة إلى مستوى آخر أشبه فيه بمؤسسات اقتصادية، ارتبط بإشعاعها العلمي ودورها الاجتماعي، وبظهائر التوقير والاحترام المخزنية التي نفذت لها أعشار القبائل كاملة بدل انصبة لا تتجاوز في أحسن الأحوال ثلثها.

1-3- علاقة وظائف المدارس والزوايا بالجباية:

▪ **وظيفة التعليم والأبعاد الجبائية:** اهتمت الرباطات الأولى في المغرب بمسألة التعليم، واستهدفت من هذه الوظيفة الدفاع عن الملة الإسلامية من كل خطر خارجي، وكذا تصحيحها وحمايتها من كل أشكال "الانحراف" الديني، ثم استمرت الزوايا في الاهتمام بوظيفة التعليم التي ورثتها عن الرباطات، بل حاولت تطوير ممارستها " ***وفق شروط أكثر وضوحا [...] عبر مقروءاتها وموادها المدرسية وفقهائها المتقدمين للتحصيل، كما استقطبت المتعلمين من كل الآفاق موفرة لهم شروط التعليم والإقامة***"[20]. وإلى جانب الدور الديني والعلمي لوظيفة التعليم، كان لها كذلك بعدا ماديا لا يمكن غض الطرف عنه، حيث شكل بعض المريدين بعد تخرجهم شبكة امتداد نفوذ الزاوية وإشعاعها، ولا تقتصر علاقاتهم مع شيوخهم على مستوى الولاء الطرقي والعلمي (علما الظاهر والباطن)، وحتى العاطفي، بل تمتد إلى ارتباط مادي جسدته الهدايا المنتظمة أو الاستثنائية التي كان يقدمها طلبة الأمس لشيوخ الزاوية. وحرص هؤلاء على استمرار ورود الهدية من الفروع، سواء بقدوم القيمين عليها إلى الزاوية الأم في أوقات معلومة توافق عادة زمن المواسم، أو بخروج الشيخ أو من ينوب عنه – وعادة من أبناءه – لجمع

(20) المازوني محمد، *وظائف الزاوية المغربية: مدخل تاريخي*، ضمن: الزوايا في تاريخ المغرب، مجلة فكر ونقد، العدد 94، ص60.

الواجب. وفضلا عن مسؤولياتهم في نشر طريقة الزاوية، انشغل المقدمون في الفروع بجمع الهدايا والزيارات، والواجب من أعشار و زكوات، بمقتضى الظهائر التي حظيت بها الزاوية الأم من المخزن، وكانت مداخيلها توزع بين نفقات الفرع في الإطعام والتجهيز المتواضع وأجور الأساتيذ، وبين باق يوجه إلى الزاوية الأم[21].

وقد كان للرسائل التي كان يتبادلها الشيوخ مع مقدمي فروع زواياهم وأعيان القبائل حيث توجد، قيمة هامة في الكشف عن العلاقات المادية التي جمعت بين الزاوية وفروعها، وهذا ما يؤكد أن تأسيس الفروع لم يكن قرارا فرديا مهما بلغت درجة أحدهم ومرتبته في الطريقة، فلابد من إجازات الشيوخ المقرونة عادة برسالة موجهة للقبيلة المعنية، حتى إن الأمر يشابه أحيانا مضمون التكليف السلطاني لقواد القبائل، ولتأكيد هذا القول نستشهد برسالتين كلتاهما من شيخ الزاوية التمكيديشتية: أما الأولى، فمن الحسن بن احمد التيمكيدشتي موجهة إلى قبيلة ايت مزال في أوائل ربيع الأول 1294 ويقول فيها: " ***... وبعد، فإننا وجهنا إليكم أخاكم الفقيه سيدي احمد أوجمل المزالي، ليعمر مدرستكم بالجهاد في دين الله، وتدريس العلم الشريف، وعليه فمن امتثل منكم لكلامنا هذا فالله يعطيه خير الدارين، ومن لم يمتثل فالله حسيبه وولي الانتقام***"[22].

لقد حمل خطاب الشيخ صبغة تكليف للفقيه، كما تعبر عنه عبارة "***وجهنا إليكم***"، وطبيعة الإلزام للقبيلة، فهي لا توجه نصحا بقبول الفقيه أو استئذان في ذلك، بل أمر يستوجب الامتثال، وباللغة التي تزاوج بين الترغيب والترهيب كما خبرناه في الوثيقة المخزنية. أما نموذج الرسالة الثانية، فالخطاب موجه للفقيه المعني، كما نقرأ في الإذن الذي قدم من شيخ الزاوية ذاتها إلى الفقيه مسعود المعدري "***أذنا لحامله الفقيه [...] مسعود المعدري في جميع ما أذنت به السنة المطهرة [...]، وأذنا له في التعليم والإرشاد وإصلاح ذات البين ووعظ المسلمين، ودعائهم إلى القيام بواجب أمور الديانات***"[23] . يفصح المكتوب عن الإذن الذي حصل عليه المعدري لفتح فرع للزاوية، لكن الخطاب هنا أخف من الرسالة الأولى، فلا يلزم القبيلة، إنما يدعوها للقيام بواجب الديانات، وأي شيء غير الأعشار والزكوات والخدمات يمثل هذا الواجب؟

(21) هذا ما كان يأمر به المخزن القيمين على أملاك الزوايا في الفروع حينما يشتكي أحد شيوخ الزاوية الأم على مقدم الفرع، منها مثلا ظهائر إلى مقدمي الزاوية الناصرية بسوس. راجع: ظهير من السلطان محمد بن عبد الرحمن إلى الشيخ أبي بكر الناصري بتاريخ 5 ذي الحجة، متم 1862/1279، وثائق زاوية تامكروت، أورده عبد العزيز الخمليشي، زاوية تامجروت والمخزن 1642-1914، ندوة الرباطات والزوايا في التاريخ المغرب، مطبعة النجاح الجديدة، 1997، ص149.

(22) السوسي محمد المختار، المعسول، م س، ج14، ص10.

(23) السوسي محمد المختار، المعسول، م س،ج10، ص10.

ولا يمكن افتراض الولاء التام أو على الأقل الدائم لمقدمي الزاوية في الفروع، خاصة مع انقراض الشيوخ الأوائل، وبداية تجدر الشأن الاقتصادي وأهميته زمن الشيوخ اللاحقين، وعادة ما ينطلق بعض القيمين على الفروع من مشاكل الزاوية الأم زمن الصراعات حول المشيخة للاستئثار بمستفاد زواياهم، وهذا يستوقفنا عند آليتين اثنتين اعتمدهما الشيوخ لدوام الوصل المادي للمقدمين مع الزاوية الأم: أولهما سلطة الولي الروحية التي مثلت آلية لضمان استمرار توصل الزاوية بأنصبة الفروع، سلطة عكسها العدد الكبير من الكرامات التي لا تخلوا منها كتب المناقب، وزاوجت بين الترغيب والترهيب للجم نوايا مقدمي الزاوية بالتصرف في مداخيل مواضع استقرارهم من دون إذن، وعلى سبيل المثال لا الحصر، مقال مقدم على جباية زاوية بأحد الفروع شيخه يسمع حس النملة في الساقية الحمراء وهو بسوس كما يسمع أحدهم حس الدابة إذا مرت حذاء أذنيه؟[24] وثانيها أن الشيخ يجد نفسه أحيانا مجبرا على الاستعانة بسلطة المخزن المادية لردع هؤلاء [25].

لقد كانت كلفة التعليم آلية لامتداد نفوذ الزاوية الروحي ومعه المادي، وفي مرحلة من هذا التوسع، قد تصبح الزاوية في أمس الحاجة للمخزن حتى تضمن ولاء الشبكة لمركزها. لكن إذا كان من الواضح إسهام التعليم فقها وتصوفا في الثراء المادي لبعض الزوايا، فما وقع نظم مؤسسات هذا الركن المادي على الحركية العلمية وعلى تاريخ الذهنيات بسوس والمغرب عامة لقرون طويلة؟

- **الإطعام بين الكلفة والأبعاد الجبائية:** يعد الإطعام من وظائف عدة رافقت الزوايا منذ ميلادها، وشكل مظهرا معبرا عن التحول الذي شهدته الحركة الصوفية في العالم الإسلامي من عمل زهد واعتزال أفراد، إلى مرحلة جماعة ومأسسة[26]، وقد دافعت الزوايا عن شرعية هذه الوظيفة، فلم تعتبرها حدثا طارئا أو بدعا مستجدا، ولكن أكدت على أصولها الدينية، من حيث مقاصدها في نشر العقيدة ومساندة المحتاجين...، أو من خلال التنظيم: حيث استشهدت على سنية الإطعام الجماعي وتنظيمه من خلال ما كان بين الرسول ﷺ والأنصار والمهاجرين[27].

---

[24] من كرامات الحسن التميلي الايرازاني كما ذكرها أحد مريديه أحمد بن احمد التجاكانتي ونقلها صاحب المعسول، م س، ج19، ص57.

[25] سيأتي بعض ذلك حين الحديث عن علاقة جباية الزاوية بالمخزن.

[26] إن الإطعام قديم، وكان ملازما لأول الرباطات التي ظهرت بالمغرب، ويظهر هذا من الإشارات الكثيرة في كتب المناقب. راجع مثلا: ابن الزيات (يوسف التادلي)، التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي، تحقيق أحمد توفيق، الدار البيضاء ص219.

[27] ناقش اليوسي شرعية الإطعام في مؤلفه المحاضرات، ص130، الشادلي عبد اللطيف، التصوف والمجتمع نماذج من القرن العاشر الهجري، سلسلة أطروحات ورسائل، جامعة الحسن الثاني، مطابع سلا، 1989، ص193.

وقد اهتم باحثون أجانب بوظيفة الإطعام في جانبها الاقتصادي، ومنهم دوفوكو[28]، وميشل نكولاس الذي وصف تمكروت بأنها "***عبارة عن قصر كبير مسور يأوي ما يناهز 2500 نسمة أغلبهم كان من العلماء والطلبة، كانوا يعيشون من الهدايا والزيارات التي كان المؤمنون البرابرة وغيرهم يقدمونها كل يوم***"[29]. وقد كانت هذه الجموع التي تعيش من مداخيل الزاوية تنزع إلى الاتساع، بفعل تعدد الزوجات الذي كان يزيد بسرعة من نسل الأولياء، فضلا عن استقطاب عدد كبير من الأتباع والطلبة للتعلم والتربية، ولاجئين يأوون إلى حرم الولي، وخداما وعبيدا، إلى جانب تدفق دائم للزوار، وكلها أفواه تعتمد على موارد الزاوية في إعالتها، وهنا تظهر الحاجة إلى سوس وغيره من المناطق. وشكلت نفقات الإطعام عبئا ماديا ذي بال في اقتصاد الزوايا يتنامى بتكاثر النسل داخل مجالها، وبتزايد نفوذها وإشعاعها الخارجي، لكن في الوقت نفسه شكل العبء حافزا بالنسبة لها "لاستثمار" كل مقدراتها ورأسمالها الروحي لتوفير مستلزمات الوظيفة، التي استمدت جاذبيتها ليس فقط من آليات الجمع والادخار والإنفاق، بل كذلك من واقع تعاقبت فيه الكوارث بنوعيها الطبيعية والسياسية[30]، حتى تحول الإطعام في مجتمع ألف ندرة الحاجة أو انقطاعها من واجب لسد رمق الجوعي إلى كرامة سيتذكرها هؤلاء زمن الرخاء بهداياهم وزياراتهم، وهنا يصير الإنفاق آلية للمكاسب الروحية والمادية[31].

ويستوجب الإطعام كذلك توسيع الزاوية علاقاتها لتطوير مداخيلها، سواء مع القبائل، أو مع المخزن، فلم تعد الوظيفة شأنا خاصا بها، بل أصبحت متجذرة في أعراف القبائل كجزء من مسؤولياتها[32]، وكذلك المخزن الذي ربط ظهائر التنازل لها عن جمع الواجب بشرط إنفاقه على فقراءها[33]، إذ يتحول الإطعام إلى تفويض منه لهذه المراكز.

ورغم العبء الكبير الذي ينتج عن الإطعام، والذي يستوجب استنفار الزاوية لكل إمكاناتها

---

(28) يقدم دوفوكو إشارات مقتضبة لكن مهمة عن التطورات التي لحقت بالإطعام في السوس الأقصى أواخر القرن 19 عقب انهيار التجارة مع بلاد السوادن، خاصة الصعوبات التي باتت تعرفها الزوايا المتاخمة للصحراء بتيسينت وأقا وطاطا: شارل دوفوكو، م س، صصص 220-221.

(29) ميشيل نيكولاس، م س. الأملاك الموهوبة لسلالة الصلحاء، ترجمة هشام محمد، مجلة أمل، العدد 22-23. ص104.

(30) البزاز محمد الأمين، م س، ص347.

(31) إطعام الحسن الايرازاني الطلبة والعدد الكبير من الضيوف أربع مرات في اليوم عدها الراوي إحدى كرامات الشيخ المتداولة بسوس.حول هذه الكرامة راجع: السوسي محمد المختار، المعسول، م س، ج19، ص54.

وحول الإطعام والكرامة راجع: المازوني محمد، م س، صص 59-60.

(32) كانت أعراف سوس خلال القرن التاسع عشر غنية بالمواد التي توضح الخدمات التي تقدمها القبيلة للزاوية. راجع على سبيل المثال عرف جماعة آل بيهي أحيى بأيت باعمران بتاريخ منتصف شعبان 8/1290 اكتوبر 1873. أورده: المحمدي علي،السلطة والمجتمع نموذج أيت باعمران، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، 1989، صص81-84.

(33) اقترن جمع الواجب في كل الظهائر الموجهة للزوايا بعبارة "**توزيعها على فقراءها**".

وعلاقاتها، إلا أن للوظيفة دلالات، فلا تقبل إلا من شيخ الزاوية، ومن حاول دونه الإطعام الدائم إنما يتشوف مزاحمة على المشيخة، وإظهارا للمعارضة، أما قبول الطعام من الفقراء والطلبة والزوار فهو إعلان ولاء وبيعة. وهذا الوضع نلاحظه عادة زمن الصراعات على المشيخة، كما حدث بالزاوية التيمكيدشتية عقب وفاة الحسن بن احمد التيمكيدشتي سنة (1297هـ/1880م) بين ابنته خديجة وابن عمها الحنفي بن احمد[34].

▪ **الزيارة والبركة:** انطلقت الصوفية من حديث "من زار مسلما محبة له في الله أحبه الله"[35]، ثم ربطوه بزيارة الأضرحة والأولياء وشيوخ الزوايا[36]. ونميز بين نوعين من الزيارات تحصلت عليهما الزوايا: منتظمة كانت تدفعها القبائل، وأخرى استثنائية ترد إليها من السكان أفرادا وجماعات. و لم ترتبط الزيارة دائما بشيخ على قيد الحياة، بل حتى الأولياء المتوفون، ومع هؤلاء قد تمتد الزيارة لمساكنهم، أو أجزاء من مخلفاتهم: لباسا، أو نعشا... وقد حظي هذا النوع من مداخيل الزوايا باهتمام الكتابات التاريخية الأجنبية، فهناك من حاول أن يبعد عنها صفة الخصوصية، واعتبرها صورة من صور الاستلاب الذي فرضته المؤسسات الدينية على السكان في مختلف المعتقدات، و لم يجد حرجا في تسميتها بإتاوة الأسياد، وهو ربط مستمد من تاريخ الكنيسة بأوربا خلال العصور الوسطى[37].

وحاولت الكتابات الأجنبية الاستشهاد بجملة من القرائن لتؤكد على أن هذه الزيارات التي تبدو في الظاهر عملا اختياريا ومبادرات شخصية من الأفراد والجماعات، في حقيقتها شكلا ضريبيا مفروضا على هؤلاء يختفي تحت واقع مفعم بالطقوس والرموز الروحية. ومن جملة ما أورده هؤلاء للتأكيد على زعمهم، طابع الديمومة والانتظام في الزيارة، فكان زمن تقديمها معلوما، وعادة يوافق أيام المواسم الدينية، ثم تدخل الشيخ لتحديد نوع الزيارة وقمية الواجب. وأخيرا أن هذه الزيارات لم تشكل فقط مدخولا ينفق على الزاوية ووظائفها المختلفة، ولكن تحول فيما بعد إلى حق لحفدة الشيخ، يطالبون به ويوزعونه ويورثونه بينهم[38].

لا نختلف مع هذه الكتابات في كون الزيارة شكلت مالا يجبى للزوايا، لكن ليس بالمفهوم

---

(34) السوسي محمد المختار، المعسول، م س، ج6، ص304.

(35) أورد الشادلي عبد اللطيف الحديث الشريف دون الإشارة لمصدره، م س، ص190.

(36) ارتبط القدوم إلى المواسم والزوايا بخطاب مناقبي غني بسوس، راجع فقط ما ذكر منه في ترجمتي الحسن بن أحمد التيمكيديشتي (المعسول، ج6) والحسن التميلي الايرازاني (المعسول ج19). فمن فضائل الشيخ الثاني حسب مؤلف مناقبه التاجكانتي أنه من رأى وجهه أعتقه الله وأبويه وسبعين من أقاربه من النار، وكتبت له عبادة ستين سنة. المعسول، ج19، ص50.

(37) كريكوري لازارف، م س، ص.48.

(38) ميشيل نيكولاس، م س، ص104.

الضريبي الذي اعتمدوه: "إتاوة للأسياد" أو "جزية"[39]...لأنه من الضروري التنبيه على الخلط الذي وقع فيه هؤلاء بين الواجب الذي كان مفروضا على بعض القبائل من زكاة وأعشار حسب ما أقرته القبائل في أعرافها أو ظهائر المخزن لفائدة الزوايا، وبين الزيارات التي كانت القبائل تحملها طواعية للزاوية ومتحمسة في ذلك لمقاصد دينية، سياسية، اقتصادية اجتماعية وحتى شخصية مثل التداوي أو جلب منفعة أو رد مضرة، وهي الحاجة التي يجملها مفهوم البركة. ولا يمكن فهم الزيارات وتصحيح نظرة الكتابات الأجنبية التي اعتبرتها نوعا من الجبايات إلا بالتوقف عند هذا المفهوم[40]، والذي أخذ مكانته في تاريخ المجتمع المغربي، وقيمته في رأسمال الزوايا الروحي وأبعاده المادية من واقع تميز بتوالي الكوارث وتعاقبها، طبيعية كانت أو سياسية، حتى أصبح التبرك بولي أو أكثر أمرا شائعا لدى عامة الناس وخاصتهم، بمختلف فئاتهم الاجتماعية، ومهما تفاوتت مكانتهم العلمية والسياسية، فالبركة زيادة في الذرية، نماء في المحصول، تقي بأس حركة، وترفع مسغبة ، وانتشار وباء... وهي ميزة الولي الخارقة حيا أو ميتا، وغاية تستحق تقديم الزيارات والهدايا لتحققها، لذلك يمكن اعتبار الزيارة مالا يجبى مقابل خدمة التبرك اتخذ صفة الانتظام في المواسم، وليس ضريبة فرضها الشيوخ على السكان.

- **موارد الوساطة والتحكيم:** إلى جانب الزيارات، هناك الهدايا التي كان يقدمها أفراد كانت لهم ثروات تسهم في تعزيز مداخيل الزاوية، ومن هؤلاء الشيوخ والقواد المحليين. ففي سوس كما في جهات كثيرة بالمغرب، كان ارتباط أعيان القبائل بالزوايا أمرا مألوفا[41]. وقد تصل الهدية إلى تنفيذ ما لم ينفذه السلطان من زكوات وأعشار[42]. ومن جهة أخرى، كان هؤلاء الخاصة، وحتى العامة في حاجة للاحتماء والأمن في المال والنفس والولد زمن الفوضى التي كانت تجتاح البلاد بشكل مسترسل، بحيث شكلت الزاوية مأوى للاحتماء من كوارث الطبيعة، ومن الخصوم المفترضين: قواد، أوقبيلة معادية، أومحلة وحركة مخزنية. ولا يكتفي شيوخ الزوايا الكبرى بانتداب أبنائهم أو مريدين مقربين لفتح فروع وحث القبائل على تعميرها بجباياتهم، بل امتدت سلطة

---

(39) نفسه.

(40) العروي عبد الله، العلاقة بين الزوايا والمخزن في مغرب القرن 19، ترجمة نوال متزكي، مجلة أمل، م س، ص13، انظر كذلك: الشادلي عبد اللطيف، م س، ص18. 197. عبد الأحد السبتي، النفوذ وصراعاته في مجتمع فاس من ق17م حتى بداية القرن 20م، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء،2007، صص 41-43.

(41) يقول المختار السوسي في رواية عن الشيخ عابد المرابطي العلمي" ***أنه يصبح كل يوم بباب مدرسته أزيد من عشرة ذبائح من ثور وكبش ودون ذلك من المواهب التي ترد عليه من القبائل كل واحد لحاجة، فمن ذابح قصد التوسط في الهدنة والهناء، وممن قصد إن كان شيخ القبيلة أو قائد أن يوفق بينه وبين آخر، أو قبيل ذلك، أو كان منفيا يرجع إلى داره، أو غير ذلك***". المعسول، م س، ج20، ص 154.

(42) مثل مرسوم سعيد الكيلولي الذي نفذ لعلي بن عبد الله الإلغي أعشار قبائل بمجاطة بينما لم تقر ظهائر السلطان إلا بالإعفاء من الكلف المخزنية والوظائف السلطانية. راجع نص المرسوم: السوسي محمد المختار، المعسول، ج1، ص301.

هؤلاء إلى استعارة علاقات المخزن الجبائية بالرعية في توقير وتحرير الأتباع من الواجب والكلف المقدمة لزواياهم. ومنهم من بلغ نفوذه التحرير من التكاليف المخزنية. وقد وقفنا على مكتوب للحسن بن أحمد التيمكيدشتي يحرر فيه أحد الفقهاء منها [43].

1-4- فقهاء سوس والإفتاء حول الجباية:

لم يكن الإفتاء مجرد إجابات عن نوازل وقعت لأفراد وجماعات كان يسأل عنها أهل العلم، بل جسدت اجاباتها أيضا جانبا من تجربة هؤلاء في إقامة مشاريع مدارس وزوايا، وحيازة الثروات والسلطة والنفوذ. لذلك كانت الفتوى سلاحا في جبي الأعشار، ومقارعه الخصوم عليها، ومؤشرا على علاقاتهم بشيوخ المدارس والزوايا المنافسة وبالمخزن. واهتم فقهاء سوس بالإفتاء في كثير من النوازل المتصلة بجبايات القبائل الموجهة لمشارطة الأئمة والأساتيذ ولإطعام المتعلمين، وقد تدرجت من تفاصيل جزئية صغيرة مثل جواز أخذ مال المشارطة من يد الصبي والطالب المتعلم، أو ضرورة تسلمه من ولي أمره[44]، إلى قضايا كبيرة احتد النقاش حولها في أواخر القرن 19، ومنها الإفتاء بشان محاربة المخزن الذي استهدف مال المدارس والزوايا بشكل مباشر، أو حول إنهاك الكوانين التي كانت تحول الواجب إليها بكلف المخزن ووظائفه[45]. وفي وسط تقل فيه الحواضر، يبدو أن فقهاء سوس لم يعيروا كبير اهتمام لنوازل الجباية في المدن، وفي مقدمتها الجدل الكبير حول المكوس[46]، فقد كان لهم شأن آخر أغناهم عن الخوض كثيرا في هذه الضريبة، حيث فضلوا مواضيع أخرى تتصل بمجالهم، وتحديدا في مسألتين اثنتين: توجيه أعشار القبائل للمدارس، وأجرة الفقيه من المشارطة والإفتاء. ومن أهم الأسئلة التي طرحت عليهم: هل يجوز تقديم الزكوات والأعشار إلى المدارس العلمية؟ وهل يجوز نقلها إلى مدرسة أو زاوية خارج القبيلة؟ وهل يجوز للفقيه أخذ أجرة عن المشارطة والإفتاء؟

- **الإفتاء حول أعشار القبائل لفائدة المدارس والزوايا:**

في نوازل فقهية كهذه، يكون سؤال الفتوى أكثر قيمة للباحث في التاريخ من الجواب عليه،

---

(43) تحرير من ابن احمد التيمكديشتي بتاريخ 8 ذي الحجة 4/1281 ماي 1865. ورد لدى: السوسي محمد المختار، خلال جزولة، م س، ج3، ص215.

(44) التمنارتي عبد الرحمن، م س، صص 503-508.

(45) سنورد بعض هذه الفتاوى حين الحديث عن علاقة الفقيه بالمخزن أواخر القرن 19.

(46) من علماء سوس الذين أفتوا في المكوس أواخر القرن19 علي السوسي السملالي، (عناية الاستعانة في حكم الوظيفة والمعونة). مخطوط رقم 48 د، (خ.ع.ر).

(46) جاءت فتوى الحسن بن احمد التيمكديشتي في سياق رده على خصوم أنكروا عليه أعشارا نفذت له من لدن المخزن. السوسي محمد المختار، المعسول، م س، ج6، صص 278-281.

فإذا كانت الإجابة لا تخرج عما توارثه الفقهاء من أجوبة حول مسائل فقهية منذ صدر الإسلام، إلا أن سؤال الإفتاء في هذه النوازل بصفة متكررة ودائمة، خاصة مسألة جواز تقديم الأعشار والزكوات للمدارس أو نقلها إليها من مواضع أخرى، يؤشر على منافسة حادة بين شيوخ المدارس والزوايا أنفسهم حول أنصبة من أعشار القبائل، فالفتوى لا تتوقف على الجانب الفقهي، بل تصل إلى مستويات اقتصادية واجتماعية وحتى سياسية[47]. وهذه إجابات بعض الفقهاء حول الموضوع:

العالم	القرن الهجري	سؤال الفتوى	الجواب
حسن بن علي الشوشاوي	ق9 (ت. أواخره)	جواز الزكاة للعلماء؟	أجاز الزكاة للإمام والمؤذن والمعلم وان كانوا أغنياء. واعتمد في ذلك فتاوى علماء ذكرهم ابن رشد في كتابه "المفيد" حول هذه النازلة[48].
أحمد الهشتوكي	ق12 (ت.1127)	جواز الزكاة للعلماء؟	أفتى باستحقاق العلماء للزكاة[49].
عيسى بن عمر السكتاني	ق11 (ت.1062)	جواز استحقاق العالم للأحباس؟	العرف في أحباس المغرب الأقصى ألا تخرج عن صنفين: الأئمة والمؤذنون- حملة العلم. الخروج عن الحالتين تغيير للحبس[50].
أحمد بن سعيد المرغيتي	ق11 (ت.1089)	هل تعطى الزكاة للإمام والمؤذن والمعلم وان كانوا أغنياء؟	أفتى بعدم الجواز، وهي باقية في ذمته حتى يعيدها.

(47) ففتوى الحسن بن احمد التيمكيديشتي جاءت في سياق رده على خصوم أنكروا عليه أعشارا نفذت له من لدن المخزن. السوسي محمد المختار، المعسول، م س، ج6، صص278-281.

(48) أورد العبادي واحدة من نماذج فتاواه تتعلق بمن تعطى لهم الزكاة: العبادي الحسن، م س، ص106.

(49)ن م.

(50) أفتى في نازلة تتعلق بمسالة الأحباس بالمغرب. راجع نص الفتوى: العبادي الحسن، م س، ص193.

			إن كانت عادة فلا تجوز معتمدا قول الرسول صلى الله عليه وسلم" العادة وأهلها في النار" والقول أن من ذكرهم ابن رشد في كتابه أجازوها محض افتراء[51].
أبو زيد عبد الرحمن الجشتمي	ق 13-14 (ت.1269)	هل للغائب حق في الحبس؟	الجواب على النازلة مهم بالنسبة للمدارس والزوايا، فعليه يقوم مبدأ نقل أعشار القبائل من الفروع للزاوية الأم[52].
الحسن بن احمد التمكيدشتي	ق 13 (ت.1308)	الرد على المنكرين عليه أخذ أعشار القبائل	بنا جواز ذلك على نصوص قرآنية وأحاديث تجدها في المعسول[53].
أحمد بن عبد الرحمن الجيشتمي	ق 13-14 (ت.1327)	استغل فرصة وجوده بالحرمين في الحج ليسأل علماء الحرمين في النازلة	لم أقف على جواب علماء الحرمين الذين أفتوا في النازلة[54].

يشير الجدول إلى أكثر المسائل الفقهية التي انشغل واشتغل بها شيوخ المدارس والزوايا، ويتعلق الأمر بجواز تقديم العشر والزكاة إلى مراكزهم، فالجواب كان شديد الأهمية، وعليه كان يتوقف شرط مادي جماعي يعدم هؤلاء غيره في تأسيس مشاريعهم واستمرار وظائفها. وحول فتوى نقل الجبايات من مكان لآخر كان يتحدد مصير كل مدرسة أو زاوية: من مشروع محلي محدود الدور والأثر، أو مركز ممتد في الآفاق تأتيه الزكوات والأعشار من مناطق أخرى تسهم في نفوذه الاجتماعي والسياسي، لذلك لا نستغرب الإفتاء في أضيق المنافذ التي تجيز الزكاة

(51) نص إجابته عن النازلة ورد لدى العبادي الحسن، م س، ص218 ص219

(52) ن م، ص301.

(53) السوسي محمد المختار، المعسول، م س، ج6، ص272.

(54) ن م، ص87.

للشيخ، ومنها وعاء الشيخ ينوب عن يده[55].

- **الإفتاء حول حق ضائع:**

قدم فقهاء سوس أجرة المشارطة والإطعام من الأعشار، أو ما كانوا يأخذونه من مقابل حين البث في الشكاوى بين المتخاصمين إلى قضية كبيرة: فكانوا يردون على ذلك بان لهم حق في بيت مال المسلمين من الجبايات الشرعية لم يصلهم، وأفتى بعضهم بجواز أخذ أعشار القبائل للمدارس والمال من المتقاضين في الخصومات، وحجتهم في ذلك غياب بيت مال منظم، ولا ما يقوم مقامه من الجماعة، وإنما الموجود على حد تعبير أحدهم "بيت ظلم" ، وأهل الحيل لأكل أموال الناس كيفما وجدوها من غير مبالاة بالحلال والحرام[56]، وقد كانت هذه حجة زوايا/مدارس كبرى لإجازة أخذ أي مال من القبائل، ومنهم الحسن بن أحمد التيمكديشتي[57].

2 – جباية المدارس والزوايا بسوس: الخطاب والعلاقات:

2–1– وسائل الفقهاء لحيازة أعشار القبائل وخدماتها:

اعتمد المخزن على إدارة محلية كانت في حاجة إلى أشكال الردع والعقاب من حركات ومحلات لخرص الثروات وجمع الجبايات من القبائل، وهي الوسائل التي عدمها الفقهاء والمرابطون الذين وظفوا أساليبهم الخاصة لضمان ورود أعشار القبائل وزكواتها واستمرار خدماتها، وكانت على ما يبدو أكثر فعالية من الأسلوب المخزني. وكانت المشارطات في معظم المدارس عقد بين القبيلة والفقيه قابل للإلغاء بينهما بالتراضي، وقد يصل الأمر أحيانا إلى طرد المعلم. وبالنسبة للمدارس التي أسسها فقهاءها[58]، إن كانت مسألة الاستغناء عن الفقيه غير واردة، فقطع الأعشار عن مدرسته كان شيئا متوقعا. فلم يكتف المؤسسون ولا المشارطون بالاتفاق حول نقل حصص من جبايات القبائل إلى مدارسهم، ولكن عملوا أيضا على البحث عن منافذ وسبل مختلفة لإقناع القبائل بالتزام جبائي دائم. فاستمرار تمويل مشروع المدرسة أو الزاوية كان أصعب من وضع أركانه أول الأمر، مما استوجب جهدا دائما من الشيوخ محوره الإفتاء الفقهي والتراث المنقبي، ونسج شبكة من العلاقات الضرورية مع القبائل و المخزن.

---

(55) راجع فتوى بهذا الخصوص: الكرسيفي عمر بن عبد العزيز، المؤلفات الفقهية الكاملة، جمع وتحقيق عمر أفا، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، مطبعة فضالة 2006، صص115-120.

(56) صاحب هذا القول إبراهيم بن محمد الظريفي المتوفى عام 1799/1214، راجع ترجمته في المعسول، م س، ج17، ص208.

(57) ن م، ج6، ص279.

(58) المعهود في سوس حسب المختار السوسي أن تؤسس المدارس على أيدي القبائل لا الأشخاص: المعسول، ج1، ص165. وهذا يطرح قضية تحولها من مؤسسة الجماعة إلى ملك خاص.

- **الخطاب الفقهي:**

اعتنى الفقهاء بنشر كثير من النوازل الفقهية التي تديم على مدارسهم ورود الأعشار والزكوات من القبائل، فبعضهم أصر على عدم التنازل عن الواجب تحت أي ظرف، فحتى إذا تعذر ورودها بسبب مسغبة أو انتشار وباء، يسجل على ذمة القبيلة أو البلدة لتدفعه في السنة المقبلة أو متى زالت الأزمة، وإن كانت القاعدة الشرعية واضحة في هذا الأمر، حيث يسقط التكليف مع عدم القدرة، وحجة هؤلاء أن تنازل المدرسة عن الجباية يؤدي إلى تراخ أو تمارض في الأداء قد يكون مؤذنا بزوالها[59]. وأفتى آخرون بألا يسقط الواجب إلى المدرسة بهلاك الملزم، فنصيبه في مشارطة الفقيه، أو في إطعام طلبته يتحول بعده إلى بنيه وحفدته، كُتِب ذلك في رسم وأشهدت عليه القبيلة أو لم يكتب، فالعادة تحكم. وهذه ثلمة جعلت من كل ملك في سوس عقارا أو ماء سقي أو زرع وغرس يستغل بشكل مباشر بواسطة ورثة الهالك، أومفوت لاستغلال غير مباشر: رهنا أو مخالطة (الخمس مثلا)، فيه نصيب معلوم متوارث يدفع إلى المدرسة جيلا بعد جيل[60]. وهذا النظام جعل في أملاك أهل سوس أموالا محبسة على مدارسها وزواياها. وبذلك ندرك موقف الفقهاء من ضغط المخزن على القبائل وأخطار ذلك على مواردهم المادية. ومن عادات المنطقة حين بيع الأملاك، انتقال واجبات البائع اتجاه مدرسة قبيلته أو بلدته للمشتري، لأنه على حد قول عبد العزيز الأدوزي، قد اشترى ما فيه وصية مؤبدة للمدرسة أو المسجد[61].

- **الخطاب المنقبي:**

شاع بين أهل سوس، في وسط كانت قبائله تمتهن الفلاحة في معاشها، معتقدات تحفزها على تقديم جباياتها للمدارس وخدمتها، فالي جانب كثير من النصوص القرآنية والأحاديث النبوية التي تبرز فضل الاعتناء بالعلم والعلماء، انتشرت بين القبائل معتقدات من قبيل القرية التي تعدم فيها مدرسة أو زاوية معرضة للجفاف والقحط[62]، ومن يخدم المدرسة تحصل له البركة في ماله وعياله. وهذا الخطاب كان موجها حتى للطلبة أنفسهم، فالإخلاص في خدمة أملاك الشيخ تظهر بركته في سرعة الفهم والحفظ[63]. وحول المدارس الكبرى التي زاوجت بين وظيفتها مدرسة

(59) السوسي محمد المختار، المعسول، م س، ج16، ص109. ج15، ص5.
(60) الأدوزي عبد العزيز، مخطوط.
(61) ن م.
(62) السعيدي المهدي، م س، صص 195-200.
(63) السوسي محمد المختار، المعسول، ن م، ج18، 253.

للتعلم، ودورها زاوية لإحدى الطرق الصوفية راج خطاب مفعم بكرامات وفضائل الشيوخ التي لا يمكن تجاوز وقعها في تحفيز القبائل على خدمة الزاوية، وهذه بعض مناقب الشيخ أحمد بن محمد التيمكيديشتي كما رواها ابنه الحسن في مؤلف عن والده سماه (رسالة الأنوار)، وأخرى كتبها كل من أحمد التاجاكالتي وأحمد بن عمر عن شيخهما الحسن بن أحمد الإيرازانيب الجدول الآتي[64]:

[64] حول سيرة التيمكيديشتي راجع: السوسي محمد المختار، ن م، ج6. وعن الحسن بن أحمد الإيرازاني: المعسول، ج 19، صص 49-64.

من فضائل و كرامات لأحمد بن محمد التيمكيديشتي من خلال مؤلف(رسالة الأنوار)

الفضائل والكرامات	الصفحة من المعسول الجزء 6
رجلان منعا ماء السقي على الشيخ ففقأت عينا أحدهما و قطع رجال الطريق على زواره فقتلوا واحدا بعد واحد في أيام قليلة.	180
أمر أحدهم براحين يدعون الناس لجمع مئونة إلى الزاوية بالصمت فكسر فمه برصاصة، ثم تاب بعدها. ونهب أناس كباشا للزاوية ففرقهم الله وقتل بعضهم ببعض.	180
قبيلة خدمت مقامه دون جارتها فأصلح الله زرع الخادمين، وقحط زرع اللآخرين، وكلاهما في نفس المكان.	181
دعوة مستجابة لكثيرين يصلونه إذا يبست أشجارهم وغارت عيونهم. يطلب منه الناس المطر فلا يقومون حتى يرسله الله. ويحرث سكان جهة للشيخ بجميع بهائم حرثهم، فيرسل الله المطر لأرضهم دون الممتنعين عن الخدمة.	181
فرق صوفا على قوم، فقبل البعض غزله, وأبى البعض الآخر، فسرحت غنمهم، فأكل الذئب غنم الممتنعين، وسلم الله غنم الآخرين.	181
علم الشيخ قدوم القائد بومهدي إلى سوس، وأخباره باندحاره ونكبته قبل وقوعهما.	182
عهد من الرسول على دوام السر الأعظم في ذرية الشيخ إلى يوم القيامة.	193
قبيلتان متحاربتان إحداهما أوشكت على الهزيمة، فحمل أعيانها الهدية للشيخ، لينتهي العراك لصالحهم وهزيمة الأعداء.	202
من جمع أعشار حبه في مسكنه تحت يده، وأعطى النزر للزاوية، فخر السقف عليه، واختلط الزرع بالتراب فلم يحصل به نفع.	204

من فضائل وكرامات الحسن بن أحمد الإيرازاني من خلال روايتي أحمد التجاكالتي وأحمد بن عمر

الفضائل والكرامات: رواية أحمد التجاكالتي	الصفحة من المعسول الجزء 19
من خدم زاويته وأحب أولاده وتلاميذه وفقراءه أحبه الله، وسار من أهل الجنة.	51
من مد يد السوء للزاوية شتت الله شمله وكسر كسرا لا جبر له.	51
من خدم زاويته في البنيان والحرث والحطب والتسخير على الأضياف والفقراء حرم الله جسده على النار.	51
من زار زاوية الشيخ ووصل حتى داخلها حرم الله جسده على النار، فإن كان يهوديا ختم الله له بالإسلام.	51
الفضائل والكرامات: رواية أحمد بن عمر	
في زمن الصراع بين التمكيديشتي والشيخ الإيرازاني رأى أحدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال له من قرأ على يد الحسن بن أحمد الإيرازاني دخل الجنة.	53
إطعام الزوار والفقراء أربع مرات في اليوم من كرامات الشيخ.	54
اشترى الشيخ أرضا ليبني فيها لتلاميذه المتزوجون فعارضه أهل رزانة فكانت عاقبتهم حلول المخزن بأرضهم وإجلائهم عنها بعد أكل مالهم بقيادة الباشا حمو وأحمد الصويري.	64

اهتم باحثون كثر بالفائدة التي يمكن أن يقدمها الأدب المناقبي لإعادة كتابة التاريخ المغربي(65)، وفي مجال مثل سوس، فان البحث في هذه القضية له أهمية كبرى، وذلك للدور الذي كان للمنطقة في تاريخ التصوف في البلاد، لكونه واحدا من أهم الأماكن المحتضنة لأولى الرباطات وبعدها الزوايا في البلاد(66).

لم يكن الأدب المناقبي خطابا مجردا ومغلقا لا يكاد يتجاوز حدود العلاقة بين الشيخ والمريد، ولكن شكل مكونا أساسيا تجاوز أسوار الرباطات والزوايا، ليمتد في مختلف بنى المجتمع، إذ كان عنصرا فاعلا في أشكال السلطة والنفوذ وطبيعة العلاقات داخل القبائل، وحافزا دفع الكوانين لخدمة الزوايا، وتقديم الأعشار والزكوات، كما أسهم هذا الخطاب في حصول كثير منها على ظهائر تنفذ إليها أعشار القبائل. لقد كانت الكرامة والمكاشفة والرؤيا...جزءا من خطاب كثر تداوله قرون عديدة، ونحن هنا لا نروم تصديق الكرامة أو إنكارها، فهذا موضوع لا يعنينا، ولكن القصد استجلاء القيمة التاريخية التي يمكن أن يقدمها الأدب المناقبي للباحث في التاريخ، وهو ما يمكن أن نخلص إليه من خلال مستويين:

✓ مستوى أول يعنى باستخلاص بعض المضمرات التاريخية للنص المنقبي، وحاجتنا هنا إلى ما يتعلق بالجباية في الفترة التي نستهدفها، فالكرامة تقدم إشارات حول العلاقات الجبائية للزاوية مع القبائل: أعشار وزكوات، ثم كلف قي جميع مراحل الإنتاج الفلاحي، وحتى خدمات حرفية (غزل الصوف وحياكته لفائدة الزاوية)، والعمل في أملاك محبسة... ثم يمكن استخلاص بعض المشاكل التي واجهتها جباية الزوايا، خاصة رفض الخدمة، وهو موضوع يبدو أن المصادر المحلية (وهي في مجملها مصادر الفقهاء والمرابطين) استنكفت من الخوض فيه بشكل مباشر، لكن يمكن قراءته من خلال تراث مناقبي يعد كذلك منفذا للبحث في أحداث تتصل بعلاقات الزاوية مع أطراف أخرى، ومنها:

• علاقة الزاوية بالمخزن: كانت سطوة المخزن أو اندحار قواته جزءا من كرامات شيوخ الزوايا: فنزول القائد الحاحي بومهدي إلى سوس وفشل محلته، عده الحسن بن أحمد التيمكيدشتيي من كرامات والده في حماية قبائل كانت تخدم زاويته. بينما تمثل مريدوا الحسن بن أحمد الإيرازاني محلة أخرى قادها الباشا حمو وأحمد الصويري من كرامات شيخهم في معاقبة قبائل كانت تعادي

(65) نوقشت مقالات هذه القضية في أعمال ندوة بعنوان: التاريخ وأدب المناقب، منشورات الجمعية المغربية للبحث التاريخي، 1988.

(66) زنيبر محمد، *كيف نشأت التقاليد العلمية بسوس*، مجلة البحث العلمي، عدد3، ص120.

زاويتهم وترفض خدمتها[67].

- علاقة الزاوية بزوايا أخرى أو بالفروع: ولهذه الغاية تعمدنا اعتماد أمثلة عن التراث المنقبي للزاوية الناصرية: فقد كانت بينهما منافرة اختزلها المختار السوسي في أسباب شخصية بين الشيخين، لكن في حقيقتها نزاعا بينهما حول أعشار القبائل. ولعل تشابه الخطاب حول الخطاب المناقبي بينهما كان من وسائل المنافسة حول المكانة والحظوة وجباية القبائل.

✓ ومستوى ثان يتعلق بوقع هذا الثرات على المجتمع الذي تداوله وتفاعل معه بشكل مباشر ودائم لقرون طويلة، خاصة مع غياب مراكز دون الزاوية والمدرسة العلمية تنتج غير المعرفة والثقافة والذهنيات، وتنافس في العلاقة مع القبائل، بل كانت هذه ذاتها تمول بجباياتها إعادة نفس الخطاب الذي زاوج بين كرامات الأشياخ في المكافأة والعقاب، فبات دفع الواجب إلى المدارس والزاويا ليس مجرد التزام جماعي تفرضه نظم القبيلة وأعرافها، ولكن أيضا بفعل ذهنية تأصلت، محورها رغبة في بركة المرابطين أو رهبة من غضبهم.

- **الموسم مناسبة للترويج إلى المدرسة:**

كان على الفقيه أن يقدم ثمار مشاركة القبائل في مشروع مدرسته، ولا شيء أفضل من المواسم فرصة لإظهار القطاف، فقد وصف المانوزي طقوس المنافسة الحادة بين المدارس العلمية بسوس زمن المواسم، حيث كانت كل مدرسة تهيئ طلبتها قبل المناسبة بوقت طويل: شكلا، مثل نظافة الجسد وجديد الهندام، وجوهرا، خاصة ما يحفظه الطلبة من القرآن بقراءاته السبع أو العشرة، الفقه، اللغة، فتخصص في كل موسم أوقات معلومة للمنافسة في مختلف العلوم، وكان الفشل يعني الطرد للطلبة، وسبة في وجه المدرسة في محج القبائل. وعلى النقيض من ذلك تزداد سمعتها بحسب نجابة طلبتها[68]. وحسب شهادة المانوزي الذي خاض التجربة طالبا بضغوطها النفسية، كان يتوقف على أداء طلبة المدرسة أيام المواسم زيادة الاعتناء بها،

[67] في كرامات الإيرازاني نجد مصطلحات مخزنية، ومنها قوله "أنا وأتقياء أمتي براء من التكليف": المعسول، م س، ج19، ص49.
وقد استنكف المختار السوسي من الحديث عن الصراعات بين شيوخ المداس والزوايا بسوس، إلا أن قلم الرجل كان يسهو أحيانا ويقدم إشارات كثيرة عن أحداث وقعت بين هؤلاء، وحاول ان يرجع أسبابها إلى خلافات شخصية. لكن يبدو أن لها دواع أهم تتصل بالمكاسب المادية والسلطة والنفوذ، وهذه كلها لها ارتباط مباشر بأعشار القبائل وزكواتها. ومن بين هذه الإشارات: صراع بين الحسن بن أحمد التيمكيديشتي وأحد فقهاء في تيمكيدشت وبينه وبين الحسن التميلي الايرازاني، المعسول، ج6، صص170-277. ومنها الانتقاد اللاذع من شيوخ الناصرية أمثال العربي الأدوزي والمدني الناصري لأنصار الطريقة الدرقاوية: المعسول، ج13، ص7. وكذلك منافسة بين قسمين من المرابطين في إلغ: والزاوية التيجانية وعلى رأسها علي بن عبد الله الالغي والزاوية الدرقاوية بزعامة علي الدرقاوي : المعسول،ج1، ص233.
[68] سيرة محمد بن احمد المانوزي. راجع: السوسي محمد المختار، ن م، ج6، صص169-272.

ونقل أنصبة جبائية جديدة إليها. وهذا دأب قبائل هشتوكة وهوارة وماسة وأيت باعمران[69].

هذه بعض وسائل شيوخ المدارس والزوايا لحيازة جبايات القبائل أو نصيب منها إلى مدارسهم وزواياهم، لكن لجأ حفدة هؤلاء أيضا إلى السلاح. فمنذ أواخر القرن التاسع عشر شهدت زوايا كثيرة صراعات مسلحة بين نسل الأشياخ المؤسسين على جبايات القبائل المحبسة على مراكزهم، و يبدو أنها وسيلة لم تقدم سوى نتائج عكسية على نفوذهم وموارد مراكزهم[70].

2-2- الجباية في علاقة المدرسة/الزاوية بالمخزن:

شكلت الجباية أحد أركان علاقة المخزن بمدارس سوس وزواياه: فقد كانت تعبيرا على اعتراف المخزن بنفوذها وخدماتها المقدمة إليه، بينما كان إثقال القبائل بالكلف والوظائف يعني بشكل مباشر استهداف لمداخليها الجبائية التي حافظت لقرون على وظائفها وأدوارها.

- **علاقة ائتلاف:**

لم تكن المدارس العلمية بسوس بدون ظهائر المخزن تتحصل سوى على نصيب من أعشار القبائل لا يتجاوز في أحسن الأحوال الثلث، لذلك شكلت ظهائر التوقير والاحترام فرصة لاستفادتها من الواجب كاملا. لكن الإنعام كان سلاحا ذو حدين يحول المدرسة أو الزاوية من مؤسسة قبلية مستقلة بشؤونها إلى أخرى خاضعة للمخزن: فمضمون الظهير يشير إلى تكليف سلطاني للفقيه أو المرابط بجمع الواجب وتوزيعه على الطلبة والفقراء، ويزيد من قيمة هذه الظهائر ومفعولها على المدرسة أو الزاوية ضرورة تجديدها عقب كل سلطان هالك، وأحيانا أكثر من مرة في عهد نفس السلطان، و الحاجة إلى التجديد تجعل مصير المدرسة أو الزاوية مرتبطا بالمخزن، فكما أنعم قد يلغي. مما فرض عليها مبادلة الإنعام بخدمات للمركز: استخبار وتقصي حقائق، أو إخبار وإبلاغ، أو تحفيز القبائل على الخدمة المخزنية، أو الوساطة والتحكيم بين الأفراد والجماعات مما يزيد من فرص الأمن، ويغني المخزن عن حراك دائم لفرض الطاعة وأمن محاور التجارة ومراقبة الأطماع الأوربية على الساحل الجنوبي.

لم يكن الإشعاع الذي وصله نفوذ المخزن بسوس عقب حركتي المولى الحسن ليخفي معضلة كبيرة جعلت سياسته الجبائية ومن خلفه من السلاطين عاجزة عن تحقيق مقاصدها بالمنطقة، ويتعلق الأمر بمن يحوزون ظهائر التوقير والاحترام، فمنذ عهد هذا السلطان اشتكى

---

(69) السوسي محمد المختار، خلال جزولة، م ن، ج3، ص172.

(70) راجع الصراعات المسلحة بين حفدة الزاوية التيمكيدشتية بعد وفاة شيخها الحسن بن أحمد التيمكيدشتي: السوسي محمد المختار، المعسول، ن م، ج6، صص 304-319.

بعض القواد من امتناع عدة عائلات عن أداء الجباية مستظهرين في ذلك بظهائر سلطانية، فما كان جواب المخزن إلا معاملة هؤلاء على العوائد ***"لأن خرقها من أشنع الزوائد"***[71]، بالإضافة إلى أوامره للعمال بأن يحصوا الموقرين تمييزا لهم عن العامة، لكن العملية لم تسلم من عوائق: فمهام عمال المخزن بسوس لم تعد تتوقف على خرص الكوانين ووسائل الإنتاج والمحاصيل، بل زاد عليها أمر سلطاني يلزمهم بإحصاء من حضوا بظهائر التوقير والاحترام[72]، ومن صعوبات المهمة اختلاف الظهائر في مضمونها، فهناك من حرروا من التكاليف المخزنية والوظائف السلطانية فقط، وآخرون زادوا عليها تنفيذ الأعشار. من ناحية أخرى، لم يقتصر تجديد الظهائر من لدن المولى الحسن على الموقرين زمن أسلافة من السلاطين العلويين، بل زاد عليهم حتى من حظوا بها في عهد من ***"غبر من أمراء المسلمين"***[73]. كما أن السلطان لم يجدد هذه الظهائر في حركتيه إلى سوس وحسب، بل أنعم بها على عائلات أخرى كثيرة[74]، ثم أن كل الظهائر بدأ تنفيذها لأفراد وأولاده، لكن بتوالي الأعوام تتوسع الشبكة من أسرة لأسر، ومن أسر وعائلات لتصل إلى مداشر وفروع من قبائل بأكملها، وقد يشمل الإنعام عبيد الزاوية وحراطينها، بل حتى بعض تلاميذ ومريدي الشيوخ[75]. ولا يتوقف توسع شبكة المنتفعين بالتوقير والاحترام على الأشياخ ونسلهم وبعض خدامهم، فهناك إشارات على توظيف إنعامات على مقربين لهذه الأسر، وخاصة من الفقهاء، باستئذان من المخزن المركزي[76]، حيث يتخذ شيخ الزاوية صفة أشبه بالسلطان في التحرير[77]. ووجب الانتباه كذلك إلى تاريخ طويل من العلاقات بين مدارس سوس وزواياه مع القبائل، خاصة الحبس المؤبد في مختلف أنواع الأملاك ماء وأرضا وغللا

---

(71) رسالة رد من المولى الحسن إلى القائد أحمد أصواب الباعمراني بتاريخ 5 ذي الحجة1301/ 26 شتنبر1884: أرفاك شفيق، م س، ص415.

(72) رسالة من المولى الحسن إلى العبوبي بتاريخ 23 شوال 28/1300 غشت1883. كناش، رقم117، ص46، (خ.ح.ر). وأمر المولى عبد العزيز كذلك عامله في السوس الأقصى سعيد الكيلولي بإحصاء الموقرين في إيالته، لكن رسالة من المركز تؤكد تأخر هذه العملية حولين كاملين: رسالة من السلطان المولى عبد العزيز إلى عامل سوس الأقصى سعيد الكيلولي بتاريخ فاتح جمادى الثانية من عام 17/1316 أكتوبر 1898. أبيكر مليكة و بابيش مبريكة، وثائق عن سوس: تخريج وتصنيف، بحث لنيل الاجازة في التاريخ، تحت إشراف الأستاذ احدى محمد، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة ابن زهر، أكادير، موسم 2002/2001، ص129.

(73) رسالة من المولى الحسن إلى باشا مكناس الباشا حمو بن الجيلاني بتاريخ فاتح رمضان 17/1299يونيو 1882. وردت لدى: ابن زيدان عبد الرحمن، الإتحاف، م ن، ج2، ص217.

(74) ممن حظوا بظهير توقير واحترام لأول مرة مرابطي إلغ أعيان من الساقية الحمراء: ابن عزوز حكيم، م س، صص87-166.

(75) راجع الإمتداد الذي وصله ظهير توقير وأحترام من المولى عبد الله بن اسماعيل لآل موسى الجشتميين بتاسكدالت بتاريخ 10من رجب من عام 3/1150 نونبر 1737. الظهير رقم 3، ملحق الوثائق المخزنية.

(76) توصل محمد الحسن الكلوي بظهير تحرير من الوظائف السلطانية والكلف المخزنية فقط لأنه يحمل صفة "صاحب الفقيه محمد بن العربي الأدوزي": ظهير حسني بتاريخ متم رجب 4/1303 ماي 1886.عن: السوسي محمد المختار، المعسول، ن م، ج5، ص206.

(77) نموذج عن هذا التحرير: السوسي محمد المختار، ن م، ج10، ص10.

على هذه المؤسسات[78]، وهذا يعني أن جباية المخزن تستهدف مواردها بشكل مباشر حتى وإن لم يفرض على شيوخها ريالا واحدا.

جعلت هذه الأسباب عملية إحصاء الموقريين بالغة الصعوبة. ومن جهة أخرى استمر السلطان في سياسة اللين والهوينى مع هؤلاء انطلاقا من مبدأ الحفاظ على العادة[79]، وإن سبقت محاولة منه لخرقها بمواضع أخرى حين فرض الترتيب، وبعد وفاته باتت معضلة الاستظهار بالتوقير والتحرير أكثر سفورا، حيث اشتكى عامل السوس الأقصى سعيد الكيلولي في العهد العزيزي من هذا المشكل الذي شكل في نظره عائقا كبيرا أمام الخدمة المخزنية بسوس[80]. وراسل المخزن المركزي في هذا الشأن بأكثر من شكوى، ونال المرابط المدني بن الحنفي شيخ الزاوية التيمكدشتية النصيب الأوفر من الشكايات المرفوعة إلى السلطان، أو بالأحرى إلى وزيره أحمد بن موسى، وبحسب ما جاء فيها فإن المرابط يسعى في إفساد كوانين القبائل، وتحريضها على عدم الإذعان للجباية المخزنية[81]، وأنه لم يقصر من الهرج في مواضع كثيرة في سوس[82]، وبلغ الاتهام مداه باعتباره يضع اليد على كوانين أعشارها غير منفذة له ولا لأسلافه[83]. وبالمقابل كان مقدم الزاوية ينفي كل التهم، وتأكيد التحرير له ولأسلافه في كل القبائل حيث نزاع فروع زاويته مع عمال المخزن[84].

ولم تكن الاتهامات المتبادلة بين سعيد الكيلولي والحنفي بن المدني التيمكيدشتي سوى مثال عن شكاوى كثيرة متبادلة بين ممثلي المخزن والمرابطين، ويكفي فقط اطلاع أولي على الكناش رقم (474) بالخزانة الحسنية لرصد عدد مهم من الرسائل في الموضوع تعبر عن سياسة المخزن

---

(78) عبد العزيز الدوزي، م س.

(79) السوسي، محمد المختار، المعسول، م س، ج14، ص 111.

(80) ذكر الكيلولي في رسالة له إلى المركز: "***لا تخلوا قبيلة من زوايا يحاشون في المغارم المخزنية***"، بتاريخ متم القعدة 1/1317 أبريل 1900. (و.م.أ).

(81) رفع الكيلولي رسائل كثيرة إلى المركز حول الموقرين، واتهمهم بقوله: "لا واحد منهم تصدق عليه علامة التوقير". راجع: رسالة من سعيد الكيلولي إلى السلطان بتاريخ 6 جمادى الثانية من عام 1896/1314. المحفظة 243، (خ.ح.ر).

(82) رسالة شكوى من حمو بن الجيلاني على الحسن بن أحمد التيمكيدشتي إلى المركز بتاريخ فاتح رمضان 1314/ 3 فبراير 1897. (و.م.أ).

(83) رسالة شكوى من أحمد أمالك أحد شيوخ إداوزال على الحسن بن احمد التيمكيديشتي بتاريخ 27 محرم 1314/ 8 يونيو1896. (و.م.أ).

(84) نفى الشيخ التهم وأكد حيازته لظهائر تنفذ له أعشار القبائل المشتكى حولها ومنها: أرزان وإداوزال وهوزالة: رسالتان حول نفيه التهم: أولى بتاريخ 5 ذو القعدة 7/1314 أبريل 1897. وأخرى في منصف جمادى الأول من عام 22/1314 اكتوبر 1896. (و.م.أ).

المركزي الجبائية بسوس عقب وفاة المولى الحسن[85]، والتي تميزت بالشدة، ولم تستثن حتى أموال المدارس والزوايا. وقد كان لسياسة المواجهة التي تبناها الوزير أحمد بن موسى والعمال الذين أوكل إليهم شؤون سوس أبعادا خطيرة على علاقة المخزن بالمدارس والزوايا، والتي لم يقصر رد فعلها على الاحتجاج وحده.

- **علاقة مواجهة:**

تضررت علاقة المخزن بالفقهاء والمرابطين بسوس كثيرا بفعل سياسته الجبائية في المنطقة بعد وفاة المولى الحسن، وهي سياسة كان المولى عثمان والباشا حمو بن الجيلاني وسعيد الكيلولي عمداؤها. فما من شك أن أعشار القبائل كانت إحدى أهم أسباب الخلاف والصراع بين الطرفين. وقد تراوحت ردود فعل أشياخ المدارس والزوايا المعارضون للضغط الجبائي الكبير على سوس بين الاحتجاج أو الإفتاء بجواز قتاله، بل وصلت في بعض المواضع إلى محاولات لإعادة علاقة النفاليس بالفقهاء والمرابطين إلى سابق عهدها.

أ- الاحتجاج:

يعد المانوزي من الذين خلفوا أثرا مكتوبا لاحتجاجهم على سياسة المخزن الجبائية، حيث ذكرأن نفوذ السلاطين لا يبقى معه زكاة ولا عشر للفقهاء، ولا سيادة لهم في أوطانهم، فتصير المدارس بذلك خرابا يبابا، فعادة السلاطين أن : " ***يجمعوا الزكوات والأعشار، فيضعونها في صناديقهم، ويجعلونها في غير استحقاقها وغير موضعها فينصرفون إلى عواصمهم: مراكش وفاس أو غيرهما، ويصرفونها في الفروج والسروج لا غير، وإذا وقع ونزل بعض الإصلاحات منهم لبعض الشؤون المادية أو الأدبية، فمحله في نظرهم تلك العواصم، حيث يدورون هم وأزواجهم وعبيدهم وخدمهم وحشمهم، من غير التفات إلى ما يهم سوسنا من الشؤون الدينية والدنيوية، فلا يتعرضون لبناء جامع أو مدرسة ولا مكتب ولا زاوية إلا لغرض من أغراضهم، من تشوف إلى بعض ذوي الوجاهة من العلماء أو غيرهم*** [...] ***فبذلك اجتهد علماء سوس المتقدمون والمتأخرون*** [...] ***في قطع ذلك النفوذ المؤدي إلى الإجحاف بسيادتهم ومدارسهم وما يمس كرامتهم*** [...] ***على أنهم كانوا يدعون لسلاطين الوقت على المنابر وينصرونهم في المواسم والأندية، ويعتقدون أن مخالفتهم شقاق، ولكن متى قعدوا منهم مزجر الكلب أو لم***

---

(85) الكناش474 (خ.ح.ر). اشتكى الأمناء أيضا من الاستظهار بظهائر التوقير والاحترام، وشاعت عبارة "وكل من له ظهير شريف يدرج أقاربه وأصهاره" في الوثائق المخزن حول سوس عقب وفاة المولى الحسن. مثال لهذه الوثائق: رسالة من أمناء تارودانت إلى المركز بتاريخ 14 الحجة16/1318 ماي 1897.(و.م.أ).

يطلبوا منهم قلامة ظفر، وإلا فهم سلاطين جور يحل عندهم قتالهم ومدافعتهم عن أوطانهم" [(86)].

يطرح المانوزي في احتجاجه على سياسة المخزن الجبائية بسوس أكثر من قضية: أن مصير الأموال التي تجبى للمخزن من القبائل مؤشر على فساد المخزن المركزي، مميزا بين مناطق تستفيد من عائدات الجباية المخزنية (العواصم)، وأخرى مهمشة حين الإنفاق (الجنوب ومنه سوس). ويقدم الرجل أيضا أبعاد سياسة المخزن الجبائية ووقعها على المدارس والزوايا، فضغط المخزن على القبائل لا يمثل تهديدا لمواردها المادية وحسب، ولكن يشكل أيضا استهدافا لسيادة ومكانة الفقهاء والمرابطين في مواضعهم. وهناك قضية اختلاف مفهوم الطاعة بين المخزن والفقهاء: فالطاعة بالنسبة للمخزن لا تعني غير أداء الجباية. أما إلتزام الطاعة في نظر الفقهاء والمرابطين مشروطة بتوقير المخزن لجبايات مدارسهم وزواياهم.

وهناك من الفقهاء من تجاوز الاحتجاج على المخزن وانتقاد سياسته الجبائية في سوس إلى اللإفتاء بجواز قتاله، لكن مثل هذه الفتاوى لم تكن مبادرات شخصية بقدر ما كانت تعبيرا على مواضع استقرار أصحابها وانتماءاتهم القبلية، وتاريخ الحضور المخزني بمواطن تواجد مدارسهم وزواياهم.

ب- الإفتاء بالدفاع عن النفس:

اختلف الفقهاء حول مقاتلة من تعدى من رجال المخزن، فانقسموا إلى فريقين: فريق لم يبح قتاله، ورأى انه مادام متمسكا بالدين الإسلامي فان طاعته واجبة، وإن جار وظلم وطغى وتعدى وبغى، ولأنه أقوى شوكة وأشد سطوة، ومن قويت شوكته وجبت طاعته. والفريق الثاني المبيح لقتاله، قال أنه إذا كان ظالما جائرا يقتضي أكثر من الزكوات والأعشار في الأموال، ولا ينهى عن هتك الأعراض وسفك الدماء في جميع الأحوال، فطاعته غير واجبة، على أنهم انسوا من القبائل قوة وشدة في رد شكيمته [(87)].

ومن الفقهاء الذين أفتوا بقتال رجال المخزن زمن القائد سعيد الكيلولي بسوس، عبد العزيز الأدوزي، لكن لا يعني قتالهم نكث خلافة السلطان ولا عزله ولا منع دفع الزكاة إليه، ولا ما يدفع لبيت المال[(88)]، وعلى السلطان ألا يقاتل إلا من بغى عليه بهاتين، وما عداهما يجوز للرعية ما

---

(86) راجع سيرة محمد بن احمد المانوزي: السوسي محمد المختار، م س، ج6، صص 278-279.
(87) سيرة محمد المانوزي. عن: السوسي محمد المختار، المعسول، م س، ج3، ص264.
(88) عبد العزيز الأدوزي، مخطوط.

أسماه الدفاع عن النفس إذا طلبت به، وقال أن بهذا ملئت دواوين الفقه. فذكر فتاوى تبرر قتال المخزن[89].

وقد أثارت فتواه مسألة شائكة في التاريخ الإسلامي، وتهم مصير أراضي الخراج. حيث رد الفقيه بلغة غاضبة وحادة حول دعوى أحدهم بأن أرض سوس فتحت عنوة، بالتالي حكمها حكم أراضي الخراج، وهو ما يبرر أي شدة في جبي الأموال، وأي عطاء قائم على تقدير السلطان، فقال: "***...فإن قلت أرض السوس فتحت عنوة وخراجها لبيت المال فهو دين ترتب في ذممهم واستغرق أموالهم فهي برمتها حلال السلطان، قلت بذلك يقول من أضله الله على علم واتخذ إلهه هواه. أي أرض في سوس فتحت عنوة أسهلها أم جبلها، وفي أي زمن فتحت، ومن فتحها، ولا يجد ذلك إلا أن يجد الأبلق العقوق...بل يحكم أن الأرض تورث وتباع وتوهب، وأنها مملوكة لأهلها يتصرفون فيها كيف شاءوا***"[90].

ويبدو أن مواقف فقهاء سوس كانت في مجملها ضد العملية العسكرية التي قادها الكيلولي إلى المنطقة، باعتبارها تهديدا جديا للمكاسب المادية والمعنوية التي حرصوا على حمايتها منذ قرون، لكن تفاوت الفتاوى فرضته إكراهات أخرى، وخاصة الاعتبارات الجغرافية، فمعظم المواضع السهلية والقريبة من حاضرتي المخزن بتارودانت وتزنيت، كانت سهلة على الجيش المخزني، إلى جانب أن أهلها اعتادوا حضوره، وثقل سياسته الجبائية، لذلك أفتى فقهاؤها بوجوب طاعة المخزن من منطلق من قويت شوكته وجبت طاعته، خاصة مع ما تعنيه المعارضة من خسائر مادية قد تهدد المدرسة/الزاوية في وجودها. على عكس المواضع والمواقع الوعرة والبعيدة، التي احتمت فتاوى الفقهاء بهذين المعطيين الطبيعيين، كما عبرت عن ذهنية قبائلها حديثة العهد بالمخزن.

ت- حنين إلى عهد سابق:

يبدو أن بعض القبائل حينما ثارت على المخزن بعد وفاة أحمد أنفلس، خليفة الكيلولي بسوس الأقصى، لم تكتف بالتمرد والتنكيل بكثير من خدام المخزن وأعوانهم، ولكن تزعم بعض الفقهاء والمرابطون محاولات لإعادة الوضع بسوس إلى ما كان عليه قبل السياسة المخزنية في

---

(89) نفسه.

هناك نقاش وجدل كبير حول مسألة الخراج في تاريخ الجباية بالمغرب، راجع بعضا من ذلك ما كتبه ميشو بيلير:

Michaux-Bellaire. L'organisation des finances au Maroc. Publication de la mission scientifique du Maroc.Tom VI .Ernest Leroux, 1907.

(90) عبد العزيز الأدوزي، نفسه.

عهد أحمد بن موسى والقائدين الحاحيين، ومن هؤلاء الفقيه ابن عايور الذي كتب عنه المختار السوسي نقلا عن محمد بن أحمد المانوزي قوله أن أهل سوس أسسوا: "*... قواعد وحتموا اعتبارها، وقوانين أبدئوا أعمالها وإقرارها، ورتبوا حاجيات الأموال فيمن تعرض لأحد ذهب لأسواقهم أو مواسمهم أو حصونهم المخزون فيها مئونتهم وأمتعتهم، أو تعرض لفقيه أو طالب علم، أو بسب أو شتم، أو تعرض ليهودي في ملاحه أو في طريقه، أو سرق أو جنا جروحا أو سفك دماء وغير ذلك، وشددوا في ذلك وعينوا النفاليس أعضاء الجمعية في كل قبيلة تجتمع في مدرستها عند وقوع تلك النوائب، ويكون الفقيه المدرس في المدرسة هو الحاكم الأكبر المرجوع إليه في الأمور الشرعية*"(91).

نستفيد من رواية المانوزي أن الثورات التي عرفها سوس عقب انسحاب الكيلولي أو النفلوسي لم تكن مجرد انتفاضات "عفوية"، بل كان للفقهاء والمرابطين دور في التمرد على شطط خدام المخزن، في الوقت الذي باتت فيه مكانتهم الروحية والمادية أكثر تهديدا من القواد. لكن نذكر أن علاقة الفقهاء والمرابطين في سوس بالتمردات المحلية لم تكن جديدة على المنطقة(92). من جهة أخرى، لا يعني قضاء الفقهاء على المخزن المحلي اقتراح تنظيم إداري جديد في سوس، وإنما عودة إلى الوضع السابق زمن الشغور المخزني: زمن عوائد العلاقة بين المدارس والزوايا مع نفاليس القبائل، ويؤكد هذا القول اهتمام الشيوخ بتعيين النفاليس وتشديدهم على ذلك، ليعيدوا بذلك وضعا قديما حافظ على مكانتهم وأعشار القبائل إليهم. لذلك ركز ابن عايور ومن كان معه من الفقهاء على إجراءات تكفل هذه المكانة:

- ← فرض الأمن لإعادة حركة الأسواق و المواسم وحصون التخزين.
- ← إعادة الاعتبار لحرمة الفقيه المدرسة والطلبة.
- ← اتخاذ المدارس والزوايا مرجعية لإدارة الحياة العامة بالقبيلة بدل القائد وداره.

لم يكن ابن عايور بهشتوكة استثناءً، فقد كان هذا دأب كثير من فقهاء ومرابطي سوس مع قبائلهم خلال هذه الفترة، مما يفسر درجة التنافر التي بلغتها علاقة شيوخ المدارس والزوايا بممثلي المخزن المحلي"الجائرين"، كونها لم تتوقف عند الإتهام والإحتجاج بأكل أموال هذه المراكز، بل جد كثير من مقدميها في الإفتاء بشأن قتاله، وبلغ الأمر حد المواجهة حتى مع

(91) محمد بن أحمد المانوزي، م س، ص269.
(92) ذكر المانوزي كثير من هؤلاء زمن الدولة العلوية: السوسي محمد المختار، المعسول، م س، ج3، ص279. وحول علاقة الفقهاء والمرابطين في سوس بتمردات ضد المخزن راجع أيضا: الصديقي، إيقاظ السريرة لتاريخ الصويرة، م س، ص15. كذلك: السوسي محمد المختار، خلال جزولة، م س، ص85. ثم: الناصري أحمد بن خالد، الاستقصا، م س، ج7، ص196. الضعيف محمد الرباطي، تاريخ الضعيف، م س، ص118.

فقهاء جاهروا الولاء لعماله الحاحيين.

خلاصة

ارتبطت قبائل سوس إلى جانب جباياتها للمخزن، مثل باقي قبائل البلاد، بعلاقات جبائية مع المدارس العلمية والزوايا: منها منتظم زمن الجني والقطاف ومواسم الزوايا، واستثنائي خارج هذه المناسبات. وقد كانت كل هذه المداخيل في إطار الوظائف المقدمة من لدن هذه المراكز للقبائل، وخاصة التعليم والإطعام والوساطة والتحكيم وبركة الأشياخ لقضاء مآرب الأفراد والجماعات في الأمن والغذاء... واتخذت مداخيلها صورة مصغرة أشبه بجباية مخزنية: واجب سنوي، وهدايا الشيوخ، ثم كلف الخدمة في الأملاك الخاصة أو المحبسة على هؤلاء. ووظفت المدارس والزوايا، والتي تباينت مواردها باختلاف إشعاع نفوذها وأهمية أدوارها، وسائل كثيرة زاوجت بين المادي والرمزي للحفاظ على التزام القبائل اتجاهها: من خطاب فقهي وصوفي تراوح بين الترغيب والترهيب، ومتون أعراف محلية تبنت مشروع المدرسة أو الزاوية، وعدت استمراره جزءا من النظام العام للقبيلة. كما كان عليها إقناع الخاصة والعامة بضرورة الدعم ودوام الأداء في كل مناسبة: زمن المواسم وفي الأسواق، وحين جولات الأشياخ. واستعانت الكبيرة منها بالمخزن للحصول على ظهائر توقرها من وظائفه وكلفه، أو تنفذ لها أعشار قبيلة أو أكثر.

لقد شهد سوس أواخر القرن التاسع عشر مفارقة واضحة : من جهة بادر المولى الحسن في حركتيه إلى المنطقة بضخ دماء جديدة في فئة الموقرين، فلم يكتف بتجديد الظهائر حتى لمن حازوها قبل العلويين، وتحديدا في عهد السعديين، بل أقر التحرير أو التنفيذ كذلك لأعيان جدد، ولنا أن ندرك الاتساع الذي بلغته قاعدة هؤلاء، حيث راكمت تاريخا امتد أربعة قرون، متوقفة في بدايتها على أفراد، ثم توسعت بتكاثر نسل الأشياخ، لتشمل أقرباءهم وأصدقاءهم وحتى الخدم من عبيد وحراطين، وهو ما أعاق محاولات إحصاء للموقرين في عهد هذا السلطان وبعده. ومن جهة ثانية، اتخذت جباية المخزن بعد وفاة المولى الحسن أسلوب الشدة وإعمال القوة في السهل والجبل لجبي الأموال، مما شكل استهدافا مزدوجا لموارد المدارس والزوايا: استهداف غير مباشر قبل الترتيب العزيزي، حيث كان المخزن يحسب أنه يوقر شيوخها، والواقع أنه هدد محور جباياتها، وهي الكوانين، فبين الكانون وهذه المراكز علاقات مادية قديمة لا تقتصر على واجب سنوي، بل كان في أملاك هؤلاء نصيب للمدرسة أو الزاوية لم يكن ممكنا التخلص منه حتى حين نقل الممتلكات بيعا أو رهنا، وحتى عند اقتسام التركات. وهناك استهداف مباشر بدأ بإطلاق المولى عبد العزيز العنان لترتيب كان من مقاصده التسوية بين الشريف والمشروف،

فشكل ذلك تهديدا لموارد المدارس والزوايا ونفوذ شيوخها. لذا لا نستغرب ردود فعل هؤلاء، التي تراوحت بين اتهام عمال المخزن بأكل أموالها، والاحتجاج على سياسته في جمع الجبايات وأوجه صرفها، إلى مناصرة تمردات على بعض ممثلي المخزن، وأحيانا قيادة بعضها، ومنها محاولات لم تخف رغبتها في القضاء على ممثلي المخزن، والعودة إلى علاقة شيوخ المدارس والزوايا بنفاليس القبائل كما كانت في سابق عهدها.

لم يكن المخزن وحده سبب ما آلت إليه معظم المدارس والزوايا خلال هذه الفترة، فهناك وقع الكوارث الطبيعية المتلاحقة على المنطقة، وانهيار تجار الجنوب تحت إكراه الضغط الإمبريالي مركزيا ومحليا، فضلا عن أزماتها الداخلية بسبب نزاعات نسل الأشياخ على الثروة وما بقي من نفوذ. وهو ما كان يؤذن بدنو نهاية مرحلة طويلة من العلاقات والأدوار والوظائف المرتبطة بالجباية المحلية غير المخزنية.

مصادر ومراجع المقال

وثائق ومخطوطات

1- وثائق مخزنية مصدرها الخزانة الحسنية جمعها الأستاذ شفيق أرفاك وأشرت إليه في المقال بالعبارة التالية: (و.م.أ)، وهي قيد الفهرسة بمشاركة الطالبين السعيد بوسكة ولطيفة الحسايني.

2- وثائق حول سوس وردت لدى: أبيكر مليكة وبابيش مبريكة، وثائق عن سوس: تخريج وتصنيف، بحث لنيل الإجازة في التاريخ، تحت إشراف الأستاذ احدى محمد، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة ابن زهر، أكادير، موسم 2002/2001.

3- كنانيش عبد العزيز الأدوزي، تحقيق اليعقوبي مليكة ومعلوي عزيزة، بحث لنيل شهادة الإجازة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة ابن زهر1993-1992.

4- علي السوسي السملالي، (عناية الاستعانة في حكم الوظيفة والمعونة). مخطوط رقم480، (خ.ح.ر).

لائحة المصادر بالعربية المطبوعة

1- ابن زيدان عبد الرحمن، إتحاف أعلام الناس بجمال حاضرة مكناس، المطبعة الوطنية، الرباط، 1990.ج2 و3 و5.

2- التمنارتي عبد الرحمن، الفوائد الجمة في إسناد علوم الأمة، تحقيق اليزيد الراضي، مطبوعات السنتيسي، 1999.

3- السوسي محمد المختار، المعسول، مطبعة فضالة، المحمدية، 1960، ج1 وج3 وج5 وج6 وج7 وج10 وج13 وج14 وج16 وج18 وج19.

4- السوسي محمد المختار، خلال جزولة، المطبعة المهدية، تطوان، (د.ت)، ج3، 4.

5- شارل دوفوكو، التعرف على المغرب 1883-1884، ترجمة المختار بالعربي، دار الثقافة، الدار البيضاء، ج1.

6- الصديقي محمد بن سعيد، إيقاظ السريرة لتاريخ الصويرة، مطبعة دار الكتاب، (دت).

7- الضعيف محمد الرباطي، تاريخ الضعيف، تحقيق أحمد العماري، دار المأثورات، الرباط.

8- الناصري خالد بن أحمد، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1956.ج 7 و8 و9.

9- الكرسيفي عمر بن عبد العزيز، المؤلفات الفقهية الكاملة، جمع وتحقيق عمر أفا، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، مطبعة فضالة 2006.

لائحة المراجع باللغة العربية

1- أرفاك شفيق، قيادة تمنارت بين التزام المحيط والسلطة المخزنية (1110-1352/1706-1934)، دكتوراه دولة تحت إشراف الدكتور محمد حمام، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة ابن زهر، أكادير، 2007.

2- أفا عمر، مسألة النقود في تاريخ المغرب في القرن 19 (سوس 1822-1906)، مطبعة النجاح الجديدة، 1988.

3- حركات إبراهيم، التيارات السياسية والفكرية بالمغرب خلال قرنين ونصف قبل الحماية، مطبعة الدار البيضاء، 1985.

4- حنداين محمد، المخزن وسوس (1672-1822)، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط، 2005.

5- الراجي خديجة، مساهمة في تاريخ الزاوية السملالية في مرحلة التأسيس (1460-1564)، رسالة دبلوم دراسات عليا، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس، الرباط، 1993.

6- السعدي المهدي، المدارس العتيقة وإشعاعها الأدبي والعلمي بالمغرب، المدرسة الإلغية بسوس نموذجا، مطبعة فضالة، المحمدية، 2006.

7- الشادلي عبد اللطيف، التصوف والمجتمع نماذج من القرن العاشر الهجري، سلسلة أطروحات ورسائل، جامعة الحسن الثاني، مطابع سلا، 1989.

8- العبادي الحسن، فقه النوازل في سوس، قضايا وأعلام، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1999.

9- المحمدي علي، مساهمة في دراسة المجتمع المغربي خلال القرن 19: المجتمع الباعمراني وعلاقته بالمخزن 1786-1894، د.د.ع، تحت إشراف جرمان عياش، كلية الآداب والعلوم

الإنسانية، جامعة محمد الخامس، الرباط، 1985.

10- عبد الأحد السبتي، النفوذ وصراعاته في مجتمع فاس من ق17م حتى بداية القرن 20م، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء،2007.

لائحة المقالات

1- زنيبر محمد، كيف نشأت التقاليد العلمية بسوس، مجلة البحث العلمي، عدد3.

2-كريكوري لازارف، الإقطاعيات العقارية في المغرب: مساهمة في دراسة تكوين الممتلكات العقارية البوادي المغربية، ترجمة البزاز محمد الأمين وعبد الله التمسماني خلوق، مجلة دار النيابة، العدد 8، 1985.

3- المازوني محمد، وظائف الزاوية المغربية: مدخل تاريخي، مجلة فكر ونقد، الزوايا في تاريخ المغرب، العدد 94.

4-مميشيل نيكولاس، الأملاك الموهوبة لسلالة الصلحاء، ترجمة هشام محمد، مجلة أمل، العدد 22-23 .

- Michaux Bellaire (E) : *Conférences Faites Au cours Préparatoire du service des Affaires Indigènes*, in Archives Marocaines, XXVI, 1927.
- Michaux-Bellaire. *L'organisation des finances au Maroc*, Publication de la mission scientifique du Maroc, Tom. VI .Ernest Leroux, 1907.